ادعت للناس أن هذا هو الدين الإلهى ، وزرعت فى عقول الناس تصورا خاطئا بأن الدين علاقة خاصة بين العبد والرب محلها القلب ولا علاقة له بواقع الأرض ، فسهلت على الشياطين - فيما بعد - إقتلاع آثاره من واقع الحياة لأنه لم يكن عميق الجذور فى واقعها .

- ومن ناحية الواقع أسهمت فى إفساد الأرض بتعطيل شريعة الله والسماح للجاهلية الرومانية أن تحكم العالم - فى صورة قوانين وتنظيمات - ومنعت الإصلاح الذى أراده الله تعالى للناس حين نزل عليهم الدين فنشأت عن ذلك مظالم سياسية واقتصادية واجتماعية تمثل فى نظام الإقطاع الذى شاع وذاع فى العالم الأوروبى - فى ظل الكنيسة - أكثر من عشرة قرون ، مما سهل على الشياطين والمحرفين اقتلاع آثار الدين وتحطيمه باسم الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى ..

- فضلا عما أثارته من المنازعات مع الأباطرة والملوك مما أدى بهم - فيما بعد - إلى الانسلاخ من سلطان الكنيسة وربقتها ، وعمقت مفهوم الفصل بين الدين والسياسة ليصبح العداء الدائم بين الدين والسياسة ، وفصلت العلم عن الدين[1] ...

وهذا ما يؤكد الطابع المميز للفكر الدينى الأوروبى ومدى سطوة الدين الكنسى على كل مرافق الحياة فى أوروبا ، وكان ذلك أمرا سيئا شديد السوء لا بسبب سيطرة الدين على الحياة كما خيل لأوروبا بغباء فى جاهليتها القديمة والمعاصرة ، ولكن بسبب سيطرة الفساد الكامن فى ذلك الدين الكنسى على كل مرافق الحياة ، كما كان ما حواه هذا الدين الكنسى من انحرافات جذرية فى صلب العقيدة من ناحية ، وفى فصل العقيدة من الشريعة من ناحية أخرى ، وفى فساد ممثليه من رجال الدين وجهالتهم من ناحية ثالثة ، كان مفسدا ومعطلا

١- (مذاهب فكرية معاصرة) محمد قطب ، ص ٤٥.

وسيطرتها فى البيئة الغربية ، وقد وجدت الكنيسة الغربية فى جمع شملها وتركيز إدارتها تحت زعامة البابوية خير وسيلة لتحقيق رغبتها فى السيطرة والنفوذ على مجريات الأمور فى أوروبا. وكان من مظاهر هذه السيطرة أن وقفت بيد من حديد فى وجه الترف الرومانى أو السعار الشهوانى الذى كانت الامبراطورية الرومانية قد انتهت وآلت إليه قبل دخولها فى النصرانية.

وفى هذا الصدد يصف الكاتب الأمريكى « درابر » قائلا : « لما بلغت الدولة الرومية فى القوة الحربية والنفوذ السياسى أوجها ، ووصلت الحضارة إلى أقصى الدرجات ، هبطت فى فساد الأخلاق ، وفى الانحطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات .. بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض ، واستهتروا استهتارا ، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هى فرصة للتمتع ، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ، ومن لهو إلى لذة ، ولم يكن زهدهم وصومهم فى بعض الأحيان إلا ليبعث على شهوة الطعام ، ولم يكن اعتدالهم إلا ليطول عمر اللذة، وكانت موائدهم تزهو بأوانى الذهب والفضة مرصعة بالجواهر ، ويحتف بهم خدم فى ملابس جميلة خلابة ، وغادات رومية حسان ، وغوان كاسيات عاريات غير متعففات تدل دلالا ، ويزيد فى نعيمهم حمامات باذخة ، وميادين للهو واسعة، ومصارع يتصارع فيها الأبطال .. ولا يزالون يصارعون حتى يخر الواحد منه صريعا يتشحط فى دمه ، وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم ، أنه إن كان هناك شئ يستحق العبادة فهو القوة ، لأنه بها يقدر الإنسان أن ينال الثروة التى يجمعها أصحابها بعرق الجبين وكد اليمين ، وإذا غلب الإنسان فى ساحة القتال بقوة ساعده ، فحينئذ يمكن أن يصادر الأموال والأملاك ، ويعين إيرادات الإقطاع ، وإن رأس الدولة الرومية هو رمز لهذه القوة القاهرة فكان نظام رومة يشف عن آبهة الملك ولكنه كان طلاء خادعا كالذى نراه فى حضارة اليونان فى عهد انحطاطها » [1] .

١- (ماذا خسر العالم ..) ص ١٨٤.

ومن ثم أرادت الكنيسة أن تقف فى وجه هذا السعار الجامح ، وهذا التردى الكاسح ولكنها لم تسلك إليه سبيل الفطرة السوية المعتدلة ، ولا كان قد بقى بين يديها من حقيقة التصور النصرانى الصحيح ما تقيم به الميزان بين الناس بالقسط، ولا ما تقيم به الميزان بين الإفراط والتفريط فى وظائف فطرتهم الطبيعية ، ولكنها ابتدعت نظام الرهبنة العاتية ، ولعلها كانت أشأم على البشرية من بهيمة الرومان الوثنية - على نحو ما سيتجلى بعد ذلك من خلال هذا البحث - ولم ينشئ ذلك علاجا لهذا الانحلال فى طبيعة المجتمع الأوروبى ولكنه أنشأ صراعا حادا بين طرفين جامحين ، كلاهما بعيد عن جادة الفطرة وحقيقة حاجات الإنسان.

ولم يقتصر تعصب الكنيسة على الأمور الدينية وحدها فى الساحة الأوروبية، وإنما شمل - أيضا - مسارح الفكر والعلم والمعرفة بل وكل الشئون الدنيوية لتشهد البلاد الأوروبية مزيدا من الصراع الفكرى أحيانا ، والصراع الدموى فى أكثر الأحايين لتفرض الكنيسة سيطرتها ونفوذها وذلك يتمثل فى الاضطهادات الكنيسة ضد من تسول له نفسه أن يفكر بعيدا عن الكنيسة ، وأن يأتى بعلم لا توافق عليه ، وقد تأخذ هذا النوع من الصراع بعض الوقت نتيجة للعصور المظلمة التى سادت أوروبا فى تلك الفترة من العصور الوسطى - وهى الفترة التى بسطت فيها الكنيسة سيطرتها على مقاليد الأمور فى البلاد الغربية.

فالعقل الأوروبى - فى هذه الفترة - كان على شفا الاحتضار يعوزه الإبداع، وتنقصه أصالة التفكير ، فيردد بعض ما انحدر إليه من تراث القدامى منساقا فى ركاب الكنيسة التى استبعدته وفرضت سيطرتها ورقابتها الصارمة عليه ، فلم يستطع الفكاك ولا التخلص منها لأنها وضعته بين شقى الرحى :

إما الانصياع لما تقرره الكنيسة دون نظر أو تفكير (اعتقد وأنت أعمى).

لدفعة عجلة الحياة فى مسارها الطبيعى فى أوروبا ، كما كان مفسدا للعقول ومعطلا لها عن التفكير الدينى القويم ، ومضطربا فى تدينه.

ومن مظاهر اضطراب العقلية الأوروبية ، وتباينها فى الفكر الدينى.

*** ابتداع الرهبانية العاتية فى المجتمع الأوروبى :**

لعبت الرهبنة المسيحية دورا بارزا فى تاريخ الكنيسة ، كما أفصح عن ذلك د. جوزيف يوسف قائلا : « إن الرهبنة بأشكالها المتعددة لعبت دوراً قيادياً فى تاريخ الكنيسة المسيحية إعتبارا من القرن الثالث الميلادى فصاعدا » (١) . والرهبنة « نظام بدء يستهوى نفوس المسيحيين منذ الجيل الثالث للمسيح ، وقد توطدت نظمه وتقاليده، وطقوسه على أيدى الرهبان الأوائل أنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس ، وغيرهم ممن آثروا حياة العزلة والتبتل. (٢)

وأهم البواعث التى دعت إلى انتشار الرهبانية بين المسيحيين فى الساحة الأوروبية منها ماهو اقتصادى ، ومنها مايعود إلى أسباب دينية ، ومنها ما يعود لفشل فى الحياة أو للاضطهاد أو للتظاهر بالزهد والتقوى والتشبه بحياة بعض القديسين سعيا وراء شهرة أو مكسب.

ويمكننا إجمال هذه الأسباب فيما يلى :

- أما الأسباب الاقتصادية ، فقد كانت الظروف الاقتصادية عاملا أساسيا من عوامل انتشار الرهبنة بين المسيحيين ، فقد عجز الناس عن دفع الضرائب التى فرضتها عليهم الدولة الرومانية مما دفعهم إلى الهروع إلى الصحراء، وتركوا بيوتهم وممتلكاتهم وأولادهم لكى يحيوا حياة رهبانية توفر لهم الأمن (٣) ،

١- (دراسات فى تاريخ العصور الوسطى) ، ص ٩٤.

٢- (تاريخ الأقباط) زكى شنوده ، جـ١ ، ص ١٨١.

٣- لمزيد من الاستفادة انظر (الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها) ص ٧٨ - ٨٩ .

كذلك ندرة فرص العمل فى الأماكن المأهولة بالسكان شجعت الكثيرين على العزلة ، وأن يجربوا حياة الرهبنة فى الصحراء والجبال [1]، وهذا يؤكد أن الرهبنة ما نشأت فى الساحة الأوروبية ولم يكن الباعث عليها الدين ، وإنما تدخلت الظروف الاقتصادية فجعلتهم يترهبون.

وفى هذا تقول المؤرخة المسيحية (نتيشر) : « وأول باعث على هذه الرهبنة هو القانون الذى وضعه قسطنطين سنة ٣٢٠م وفيه يعفى العزاب والذين بلا نسل من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم ، وهذا القانون حدا بالكثيرين من محبى النفس والمال إلى الامتناع عن الزواج بل ساعدهم على الشر والفساد ، إذ جاء فى فقرة أخرى منه أن اللقطاء يربون على نفقة الحكومة ، وأن الرهبان كانوا يعفون من الخدمة العسكرية فى مدة حكم قسطنطين » [2].

تعرض المسيحيون لشتى ألوان التعذيب وأنواع من الاضطهادات على أيدى أباطرة الرومان كانت من أهم البواعث لنشأة الرهبنة فى الحياة الأوروبية والكنيسة. [3]

ومن البواعث لظهور الرهبنة وازدهارها الإحساس القوى فى قلوب بعض الناس بأن الكنيسة فقدت قداستها وتكريسها وشعروا أن حياتهم الروحية لا يمكنها أن تنموا إلا بعيدا عن الأوساط الكنسية ، وعدم الرضى عن الكنيسة لأنهم رأوا أن رجال الدين سيطرت عليهم الأهواء وأصبحوا رجال دنيا. [4]

١- (تاريخ الكنيسة) جون لورير ، جـ٢ ، ص ١٣٤.

٢- (تاريخ الأمة القبطية) ، جـ١ ، ص ٢٧٦.

٣- (دراسات فى تاريخ العصور الوسطى) جوزيف يوسف ، ص ٢٣١ ، ٢٣٧ . (دراسات فى تاريخ الرهبانية) د. حكيم أمين ، ص ٤ - ١٥.

٤- انظر (قصة الحضارة) جـ ٣ ، ص ٣٩٠ . (تاريخ الكنيسة) جـ٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ، (فجر المسيحية) ، ص ١٧٤.

وعجزت الرهبانية كما يقول سيد قطب - ونظامها المنبثق من تصورات كنسية ومجمعية منحرفة عن أصل التصور النصرانى ، عن أن يكون حتى نظاما أخلاقيا للعالم النصرانى ، وخلف فى النفوس جفوة الدين - والدين الإلهى منه براء - وترك فيها تحفزا للانتقاض عليه وعلى نظامه الذى لا تطيقه الفطرة ، وكان عاملا نكدا من عوامل ذلك الفصام النكد فى نهاية المطاف » (١) ومظهرا من مظاهر اضطراب الفكر الدينى فى أوروبا.

ومن هذه المظاهر التى أدت - أيضا - إلى اضطراب الفكر الدينى فى الساحة الأوربية.

* انحطاط رجال الدين الكنسى وفساد أخلاقهم:

صور الكاتب المسيحى « جاد المنفلوطى » حالة الفساد التى تردى إليها رجال الدين فى العصور الوسطى ونعى عليهم قائلا : إن القلب ليفعم بالأسى ، وتقطر النفس مرارة عندما نتعرض للحياة الدينية فى هذه الفترة ، فقد عم الانحطاط وساد ، ودب فى الحياة دبيب الفساد ، ومن هامة الرأس إلى باطن القدم أصبحت الكنيسة مريضة وموسومة بسمة الانحطاط الخلقى ، لا فرق بين قائد ومقود ، الجميع زاغوا وفسدوا معا .. وغالبيتهم من مدمنى الخمر ، مستعدين للعديد من الخطايا كخطيئة الزنا ، وكانوا يعيشون فى بحبوحة من العيش ، يسعون وراء المتع الزائلة ، مهملين للقيام بواجباتهم الدينية ، إنهم لم يأخذوها خدمة ولكن وظائف ، وكانوا طامعين فى الربح القبيح يشترون المناصب والوظائف الدينية بالمال ، حتى توصل كثير من المجرمين وغير المؤهلين إلى المناصب الدينية الكبرى عن طريق المال » (٢).

١- (المستقبل لهذا الدين) ، ص ٣٦.

٢- لمزيد من الاستفادة انظر (المسيحية فى العصور الوسطى) ، ص ٣٩. (أوروبا العصور الوسطى) جـ١ ، ص ٣٣٠. (تاريخ الكنيسة) جون لوريمر ، جـ٢ ، ص ١٣٦.

وكانت هذه طامة كبرى يوم اكتشف الأوروبى أن حياة رجال الكنيسة الشخصية ، لا تعج بالمتاع بالطيبات فحسب ولا تسقط فى الترف فحسب وإنما نشا فيها الفواحش والمناكر ، وولع رجال الدين الكنسى بالشهوات والمنكرات ، والتفوا حول موائد الفساد والانحطاط ، وتساقطوا تحت أرجل الرزائل والمكايد ، وانغمسوا فى كافة المفاسد والموبقات ، فى حين تأمر الكنيسة أتباعها بالحرمان القاسى وتنذرهم باستحالة نفاذهم إلى الجنة إذا هم زاولوا من طيبات الحياة شيئا ، أليست هذه المتناقضات تولد فى نفسية الأوربى اضطرابا فى فكره ومعتقده ، وتباينا فى تدينه ؟!!

ومن مظاهر اضطراب الفكر الدينى فى أوروبا .

*** سيطرة البابوية على الفكر الأوروبى فى العصور الوسطى [1]:**

دخلت الكنيسة فى نزاع طويل وحاد مع الأباطرة والملوك لا على الدين والأخلاق ولكن على السلطة والنفوذ وبدأ النزاع والمنافسة بين البابوية والامبراطورية ، وأدى ضعف الأباطرة وانهيار الامبراطورية الرومانية في الغرب سنة ٤٧٦م إلى ازدياد سلطة البابوية وارتفاع شأن البابا فى أوروبا ..

وقد وقع أكثر من صدام بين البابوية والقادة السياسيين فى الفترة ما بين القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر الميلادى أدى إلى فساد رجال الدين وانحطاط البابوية إلى سيطرة الحكام على الكنيسة ، ولكن ما لبثت البابوية أن تماسكت وأعادت سيطرتها وسيادتها ، وبلغ نفوذ البابوية الدينى والفكرى والدنيوى بوجه عام ذروته فى القرن الثالث عشر عندما أصبح البابا فى أوروبا بمثابة ملك يتمتع بسلطان زمنى فوق سلطانه الروحى ، ويهيمن على الكنيسة ،

١- انظر (البابوية وسيطرتها على الفكر الأوربى فى العصور الوسطى) د. أحمد عجيبة ، مقال بحولية أصول الدين طنطا ، ١٩٩١م.

فإذا ما أراد البابا أمرا فعلى الملوك طاعته وإلا تعرضوا لعقوبة الحرمان والطرد من الكنيسة ، وما يتبع ذلك من متاعب لا قبل لهم بها داخل بلادهم وخارجها[1].

ووجدت الكنيسة الغربية فى جمع شملها وتركيز إدارتها تحت زعامة البابوية خير وسيلة لتحقيق رغبتها فى السيطرة ، وأصبح البابا فى نظر الأوروبيين رأس الكنيسة ، ومصدر ولايتها ، والحارس الأول على قوانينها ، ونظمها ، وعقائدها ، ومعلم أتباعها المعصوم من الخطأ ، فضلا عن اعتقادهم بأن البابا نائب المسيح لأنه يستمد سلطته من تعيين المسيح له مباشرة.

ولم تكن البابوية بمنجاة من هذه المساوئ التى كانت هى الطابع المميز لحياة الكنيسة عامة فى ذلك العصر حيث وصلت حالة البابوية فى القرنين التاسع والعاشر إلى أحط درجات الانحطاط.

يقول جيروم مبينا الحالة المتردية التى وصل إليها ذوى المناصب الصغيرة فى الكنيسة وصولا إلى الأساقفة والبابوات أنفسهم كانوا يتحدرون إلى هذا المنزلق الخطير : « نعم تشوهت صورة البابوية وتلطخت بالكثير من التشوهات التى لم تكن تخطر على بال ، وأصبح مركز البابا موضع نزاع بين القادة السياسيين المتنافسين وأتباعهم وبعض الذين شغلوا ذلك المنصب فى خلال تلك الفترة لم يكونوا فوق مستوى الشبهات بل أنهم كانوا من ذوى السمعة السيئة وارتكبوا أفظع أنواع الجرائم وأبشعها »[2].

ويقول : « إن عيش القسوس وتعيمهم كان يزرى بترف الأمراء والأغنياء المترفين ، وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما ، واستحوذ عليهم الجشع

١- (تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى) فيشر القسم الأول ص ٢٣١.

٢- (المسيحية فى العصور الوسطى) ص ٤٠ ، ٤١ .

وحب المال ، حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع ، وقد تباع بالمزاد العلنى ، ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران ، ويأذنون بنقض القانون ويمنحون شهادات النجاة ، وأجازات حل المحرمات والمحظورات ، كأوراق النقد وطوابع البريد ، ويرتشون ويرابون ، وقد بذروا المال تبذيرا ، حتى اضطر البابا « إنوسنت الثامن » أن يرهن تاج البابوية ، ويرى أن مجموع دخل مملكة فرنسا لم يكن يكفى البابوات لنفقاتهم وإرضاء شهواتهم »[1].

ومن ثم يظهر لنا ما كان يمكن أن يفعله الأساقفة والبابوات من دور فعال فى تقدم النظرة الدينية فى الساحة الأوروبية بما أعطتهم لهم الكنيسة وأشياعها من ملكات ومؤهلات قيادية بناءة إلا أنهم أساؤا استعمال سلطتهم الدينية واستغلوها لنفوذهم وجاههم ، ولتحقيق مآربهم الشخصية ، وإرضاء شهواتهم ، وسيطر عليهم حب المال والجاه والسلطان ، وفى سبيل الحفاظ على هذا النفوذ وتوطيده كانوا على أتم الاستعداد لاستخدام شتى أساليب التنكيل والاضطهاد لمن تسول له نفسه بالخروج عليهم ، أو مخالفتهم ، أو زعزعة الثقة فى حكمهم وسلطانهم ، فلم يهادنوا المخالفين ، ولم يسامحوهم ، وإنما نكلوا بهم من غير رفق ولا رحمة ولا هوادة وأذاقوهم مرارة المخالفة ، مما أدى إلى زعزعة النظرة الدينية ، وبلبلة الفكر الدينى فى نفسية الأوروبى .

ومن ملابسات اضطراب الفكر الدينى فى أوروبا - أيضا -.

*** استبداد الكنيسة واضطهادها للفكر فى العصور الوسطى:**

لقد اشتد ضغط الكنيسة على أتباعها وبالغت فى فرض آرائها على أشياعها مبالغة تجاوزت حد الغلو ، ولم تسلك فى فرض آرائها طريق الحكمة بل

١- (ماذا خسر العالم ...) ص ١٩١ .

سلكت سبيل العنف وركبت متن الشدة ، فجعلت كل رأى فى العلوم الكونية يخالف رأيها يُعد كفراً ، ويجب حرق أو تعذيب المهرطق بلا رفق ولا هوادة.

وكانت القاصمة - كما يقول سيد قطب - التى تم بها ذلك الفصام النكد وانتهى بها الأمر فى أوروبا بين الحياة والدين ، وانقطع بها نهائيا ما بين التصور الاعتقادى والنظام الاجتماعى من سبب ، بل كانت الجناية الكبرى التى جنتها الكنيسة الغربية على نفسها ، وعلى الفكر النصرانى أن احتجزت لنفسها حق فهم الكتاب المقدس - كما يزعمون - وتفسيره ، وحظرت على أى عقل من خارج الكهنوت أن يحاول فهمه أو تفسيره ، ثم أتبعت هذا بإدخال معميات في العقيدة لاسبيل لإدراكها أو تصورها أو تصديقها ، وقد فرضت الكنيسة على الناس قبولها ، ومنعتهم من المناقشة ، وإلا عرضوا أنفسهم للطرد والحرمان.

ثم لم تكتف الكنيسة بتلك المعميات والخرافات فى العقيدة والشعائر - مع كف الناس عن البحث عن أصولها فى الكتاب المقدس ومحاولة فهمه أو تفسيره- بل أتبعتها بأمثالها فى الكون والحياة ، فادعت آراء ونظريات جغرافية وتاريخية وطبيعية مما كان سائداً فى عصرها ، مليئة بالخطأ والخرافة عن الكون والحياة والإنسان وجعلتها مقدسة لا تجوز مناقشتها ولا تصحيحها ولا تجربتها ولا القول بسواها » [1].

ويصور السيد أبو الحسن الندوى هذه القاصمة تصويرا دقيقا لا يحتاج إلى تعليق أو تعقيب مبينا مدى السيطرة التى فرضتها الكنيسة ورجالها على أشياعها وأتباعهم قائلا : « ومن أعظم أخطاء رجال الدين فى أوروبا ، ومن أكبر جناياتهم على أنفسهم وعلى الذين كانوا يمثلونه ، أنهم دسوا فى كتبهم الدينية المقدسة معلومات بشرية ، ومسلمات عصرية عن التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية ، بل درسوا كل ما تناقلته الألسن ، واشتهر بين الناس ، وذكره

١- (المستقبل لهذا الدين) ، ص ٤١ ، ٤٢.

بعض شراح التوراة والإنجيل ومفسريهما وصبغوها صبغة دينية ، وعدوها من تعاليم الدين وأصول التى يجب الاعتقاد بها ، ونبذ كل ما يعارضها ، وكفروا كل من لم يدن بها ».

وكانت « الجغرافيا المسيحية » التى ألفها رجال الدين الكنسى فى عصر «انفجر فيه بركان العقلية فى أوروبا ، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الدينى ، فزيفوا هذه الجغرافية التى اشتملت عليها هذه الكتب وانتقدوها فى صرامة وصراحة ، واعتذروا عن عدم اعتقادها والإيمان بها ، وأعلنوا اكتشافاتهم واختياراتهم ، فقامت قيامة الكنيسة ، وقام رجالها - المتصرفون فى زمام الأمور فى أوروبا - وكفروهم ، واستحلوا دماءهم وأموالهم فى سبيل الدين المسيحى ، وأنشاءوا محاكم التفتيش التى تعاقب - كما يقول البابا - الملحدين والزنادقة ، فجدت واجتهدت ألا تدع فى العالم النصرانى عرقا نابضا ضد الكنيسة » [1].

وكان هذا من أهم الملابسات والمظاهر التى أدت إلى اضطراب الفكر الدينى فى أوروبا.

* محاكم التفتيش أو (دواوين التحقيق) فى محاولة لإخفاء حقيقتها:

« وهى واحدة من أفظع وأخطر المظاهر التى استخدمتها السلطات الكنسية لإحكام استبدادها وقبضتها لمحاربة الفكر وجندلة أهله » [2] ، ونظمت هذه المحاكم كأداة تحقيق مستديمة تحت إدارة رجال الدين - الكنسى ضد من يخرج على النظام الكنسى - وبهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير

١- (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ص ١٩٣ ، ١٩٤ بتصرف يسير .

٢- (قصة الصراع بين الدين والفلسفة) ص ١٩ . (محاكم التفتيش نشأتها وتطورها) د. استحق عبيد ص ٣٩ .

الإنسانى بالنار والعذاب ، وكان كبار رجالها يقفون فى مئات الساحات ليرقبوا أجسام أعدائهم وهى تحترق بالنار وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة [1] ، ولا يكاد المؤرخون الغربيون يتعرضون للحديث عنها إلا ويصيبهم الاضطراب ، وتنفجر كلماتهم رعبا ، وإذا كان هذا هو حال المؤرخ لهذه الأحداث فما بالك بالضحايا الذين أزهقت أروحهم والسجناء الذين أذيقوا ألوان المر والنكال [2] .

وكانت هذه المحاكم بابوية محضة تستمد سلطانها من البابا مباشرة أو المفوض عنه أو من رجال الدين المعروفين بتعصبهم الشديد لكنيستهم ، ولا دخل للحكومات فى تصرفاتها ، اللهم إلا قيامها بتنفيذ أحكامها ، ومحاكماتها سرية ومن واجباتها مراقبة المطبوعات والمدارس وتقرير الكتب التى يسمح بتداولها ، وإحراق الكتب التى لا تتفق مع المذهب الكنسى - الكاثوليكى - كما أنها تقوم بالتجسس - بالطرق المشروع وغيرها - على من يشتبه فى عقيدتهم والقبض عليهم ومحاكمتهم فى جلسات سرية ، وتعذيبهم بمختلف الطرق القاسية التى تكرههم على الاعتراف بهرطقتهم [3] .

والعقوبات التى كانت تصدرها محاكم التفتيش كانت تدور عادة بين الاعدام والسجن بصنوفهما المختلفة والمتعددة والتى لا يراعى فيها أى حرمة لآدمية الإنسان ، حيث رويت مآسى مروعة ، وكانت أغلب الأحكام الموت حرقا وأقلها السجن المؤبد ، وعملت الكنيسة لا على إبادة الخارجين فقط عليها بل ومصادرة أملاكهم وأموالهم وهدم منازلهم والمنازل المجاورة لهم. ولجأت إلى هدم منازل الهراطقة ، وإحراق جثث الموتى من المهرطقين إعتقادا منهم أنه قد يصاب المكان الذى يضم رفات الهرطيق بالدنس ، ولذلك نبشت قبور عدة ، وأهينت

١- (معالم تاريخ الإنسانية) ويلز المجلد الثالث ، ص ٩٠٩.

٢- (العلمانية) ص ١٣١.

٣- (المجامع المسيحية) د. محمد رجب الشتيوى ، ص ٣٨٣ .

حرمة جثث كثيرة وسط قرع الطبول ولهيب المحرقة ، وقد توطد هذا النظام الآثم وشاعت تلك المحاكم الظالمة حتى غطت العالم المسيحى الغربى كله بشبكة لا سبيل إلى إتقائها ، كما اعتبرت هذه المحاكم مقدسة [1].

الأمر الذى أدى إلى ثورة عارمة ضد التعاليم الكنسية ، وضد رجال الكنيسة ، وثار المجددون والمتنورون وأصبحوا حربا لرجال الدين وممثلى الكنيسة والمحافظين على القديم ومقتوا كل ما يتصل بهم ، ويعزى إليهم من عقيدة وثقافة وعلم وأخلاق وآداب ، وعادوا الدين المسيحى أولا ، والدين المطلق واستحالت الحرب بين زعماء العلم والعقلية وزعماء الدين البوليسى حرباً بين العلم والدين مطلقا ، وقرر الثائرون أن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان ، وأن العقل والنظام الدينى ضدان لا يجتمعان ، فمن استقبل أحدهما استدبر الآخر ، ومن آمن بالأول كفر بالثانى .

وإذا ذكروا الدين ذكروا تلك الدماء الزكية التى أريقت فى سبيل العلم والتحقيق ، وتلك النفوس البريئة التى ذهبت ضحية لقسوة القساوسة ووساوسهم، وتمثل لأعينهم وجوه كالحة عابسة وجباه مقطبة ، وعيون ترمى بالشرر ، وصدور ضيقة حرجة ، وعقول سخيفة بليدة ، فاشمأزت قلوبهم وآلوا على أنفسهم كراهة هؤلاء ، وكل ما يمثلونه ، وتواصوا به ، وجعلوه كلمة باقية فى أعقابهم ، ولم يكن عند هؤلاء الثائرين من الصبر والمصابرة على الدراسة والتفكير ، ومن الوداعة والهدوء ، ومن العقل والاجتهاد ، ما يميزون به بين الدين ورجاله المحتكرين لزعامته ، ويفرقون بين ما يرجع إلى الدين من عهدة ومسئولية ، وما يرجع إلى رجال الكنيسة من جمود واستبداد وسوء تمثيل ، فلا ينبذوا الدين نبذ

١- يراجع لمزيد من الاستفادة (صلة العلم بالمجتمع) ج.ج كراوذر ترجمة حسن خطاب سلسلة الألف كتاب ، مكتبة النهضة المصرية.

النواة ، ولكن الحفيظة وشنآن رجال الدين ، والاستعجال ، لم يسمح بالنظر فى أمر الدين والتريث فى شأنه كغالب الثوار فى أكثر الأعصار والأمصار . [1]

هذه أهم الملابسات والمظاهر النكدة التى عانت منها أوروبا - ومازالت - تعانى معها البشرية - من جراء هذه الاضطراب الفكرى - آثاره التعيسة ، وتتجرع كأسه المرير ، وهذا هو الدين الذى اضطربت فيه العقلية الأوروبية اضطرابا متباينا ، وثارت عليه أوروبا ، فحرفته وشوهت معالمه ثم زيفت خصائصه الربانية ، وتصوراته الإلهية ، وقيمه وأسسه السماوية ، ذلك التزييف الشنيع.

والمتأمل فيما سلفناه من مظاهر ، وحرب ضد الدين ، إنما هى ملابسات ومظاهر كانت وليدة بيئة خارجة عن بيئتنا الإسلامية ، والدين الذى هوجم وشنع عليه هو الدين الوضعى الذى كان من نتاج العقلية البشرية ، فهل كان هذا الاضطراب فى الفكر الدينى - كما تجلى لك أخى القارئ الكريم من خلال عرضنا السالف - فى الساحة الأوروبية بواعث ودوافع ؟

هذا التساؤل يحتاج منا إلى تمحيص ودراسة للإجابة عنه فى النقطة التالية فأقول وبالله التوفيق.

١- (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

ثالثا: أهم البواعث التى أدت إلى اضطراب الفكر الدينى فى البيئة الغربية:

بعد أن بينا أهم الملابسات والمظاهر التى كانت سببا فى اضطراب الفكر الدينى فى الساحة الأوروبية ، فإنه يمكننا إجلاء أهم الأسباب التى نجم عنها الاضطراب والتباين فى الفكر الغربى فى كافة ما يظهره من نظم وتقنينات للحياة ، وخاصة فيما يتعلق بالفكر الدينى وأجملها فيمايلى :

* **أولاً** : تعدد المواريث الدينية المظلمة ، وكثافة الأفكار الدينية الوضعية فيما يتعلق بالدين الذى توارثوه من الأمم القديمة.

* **ثانيا** : انقطاع السند فى مصادر الفكر الدينى الوضعى ، وخاصة فى الأناجيل المقدسة - كما يزعمون - وتحريفها ، وغموض تعاليمها ، واختلافها ، وانقسم الفكر الدينى فى أوروبا ، وتباين وافترق الأوربيون إلى شيع وأحزاب وطوائف وفرق مختلفة متناحرة ، ولكل فرقة من هذه الفرق المتعددة الحق فى فهم الأناجيل ، وفق مآربها وعقليتها ، وكذلك شعائرها وأخلاقها وكنائسها وشعوبها ... الخ. وكل فرقة تنكر على الأخرى ما قالت به وأخذت ، ولم يقف أمر الانقسام فى الفكر الدينى الأوروبى إلى التشعب والتحزب فى الفكر أو الرأى أو حتى الاختلاف فى الفروع فى فهمها ، بل لم يقف الحد عند الاتهام بالجنوح والبعد عن مبادئ المسيحية - الوضعية - بل وصل إلى حد السب واللعن والقذف والطرد والحرمان ، بل لم يقف أمر التباين بين الطوائف المسيحية البوليسية عند هذا الحد - وهو أمر جد خطير - بل إن الصراع الفكرى، والاختلاف الدينى ، والشقاق والعداوة ، وصل إلى مداه ، حيث اشتعلت نار الصراع المرير الدامى فى أتفه الأمور وأبسطها ، كأن يتزوج أحد الطوائف من طائفة أخرى ، وسجل التاريخ مئات الآلاف بل الملايين من الضحايا سقطوا فى بحر من الدماء ، ولن أسرد كل الفرق

فى بيان مدى اختلاف كل واحدة عن الأخرى ، ونتائج هذا الاختلاف فهذا أمر يطول بيانه ، وما أسفرت عنه هذه الاختلافات عن صراعات دموية رهيبة. (١)

* ثالثا : نشأ الغرب متشربا لتعاليم الكنيسة ومبادئها ، وأساليبها من كبت وقهر وفرض ضرائب وصكوك غفران ، واستنزاف خيرات الآخرين ، وسلب نتيجة عرقهم ، ومص دمائهم ، كما نشأ متشربا أساليب القتل والفتك واستعمال كافة أساليب الخراب والدمار فى كل وقت ومكان طالما مكنتهم الظروف وإلا تلونوا واستخدموا أساليب الحيل والمكر والدهاء ، فقد سجل التاريخ ما خلفته الصراعات الدموية ، واستعمار الدول الأوروبية للأقطار العربية وما ذاقته هذه الأقطار من قهر وبطش وطغيان ، ونهب ممتلكات ، وهتك أعراض ، وسفك دماء، وما هذه السجلات التاريخية عنا ببعيدة ، فها هى مكتباتنا زاخرة بهذه المؤلفات. (٢)

*رابعا : تحريف وإضافة معلومات إلى نصوص كتبهم المقدسة كان له أكبر الأثر فى نشأت هذا الصراع والاضطراب الفكرى فى الساحة الأوروبية ، ورغم اعتقاد الأوروبى بصحة هذه النصوص وقدسيتها وأنها معصومة من الخطأ ، إلا أن التقدم العلمى قد كشف النقاب عن وجود نقاط خلاف بين كتبهم المقدسة والعلم ، كما كشف عن وجود أخطاء علمية

١- انظر لمزيد من الاستفادة (الصراع الاجتماعى وموقف الإسلام منه) د. محمد رمزى فواز ، رسالة الدكتوراه ص ٥٢ - ٥٨ ، مخطوط بمكتبة أصول الدين بالقاهرة ، ١٩٨٩م. (محاضرات فى النصرانية) محمد أبو زهرة . (قصة الاضطهاد الدينى) د. توفيق الطويل. (قصة الصراع بين الدين والفلسفة) ، د. توفيق رزق الطويل ، وغيرها.

٢- الحروب الصليبية وما تولد عنها من آثار مدمرة على العالم الغربى نتيجة فشلها ، وما هدفت إليه.

فى هذه الكتب ، وقد خلق هذا الوضع الخطير من محاربة الكنيسة وعدائها للعلم والعلماء - كما سبق بيانه - مما دفعهم دفعا إلى تقديم كل من خالف الجغرافية المسيحية إلى محاكم التفتيش، ولعل معرفة القارئ الكريم للوسائل التى استخدمتها الكنيسة لقمع الفكر المخالف لها لخير دليل على ما نقول ، ومن أهمها :

١- الحرمان من الكنيسة ، وقد اعتمدته الكنيسة فى بداية أمرها لمحاربة الفكر المخالف على ما يسمى بوسائل الإرهاب الروحى والتى تقوم أساس على الحرمان واللعن والطرد منها [١].

٢- محاكم التفتيش - وقد سلف بيانها.

* **خامسا** : يضاف إلى ذلك كله ما ذكرناه من أن رجال الدين الأوروبى فرضوا الوصاية الطاغية على ماليس داخلا فى اختصاصهم ونصبوا من أنفسهم حكاما على كل نشاط أو فكر علمى ، وقد نشأ ذلك نتيجة لضيق صدر الكنيسة مما يخالف تعاليمها ، وإصرارها الأعمى على التشبث بآرائها ، تلك الآراء التى تكونت - كما أسلفنا - من الأساطير والخرافات والأديان الوثنية ، فكان الامتداد الطبيعى للطغيان الدينى طغيانا فكريا عاما ، ولذلك حاسبت الكنيسة الناس لا على ماتعتقده قلوبهم فحسب ، بل على نتاج قرائحهم وبنات أفكارهم، وتوهمت أن فى قدرتها أن تملك ما لا تستطيع أية قوة طاغية أن تحتكره وهو الحقيقة العلمية فيما يتعلق بالتجربة المحسوسة أو النظر العقلى السليم ، وبذلك أقحمت الكنيسة نفسها فى متاهات كانت

١- أحيل القارئ الكريم لمزيد من الاستفادة فى هذا الموضوع (قصة الحضارة) ول ديورانت ، مجلد ٤ ص ٤٥ - ٤٨. (عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة) كولتون ترجمة د. جوزيف يوسف ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م.

غنية كل الغنى عن عبورها ، وأثارت على نفسها حربا ضروسا لا هوادة ولا تمييز فيها (١).

وقد كشف ويلز الغطاء وراء هذا التعصب الأعمى من جانب رجال الدين مشيرا إلى أن سبب تعصبهم وبغضهم للمخالفين راجع إلى أن كثيرا منهم على الأرجح يسرون الريبة فى سلامة بنيان مبادئهم الضخم، وصحته المطلقة ، ولذلك لم يسمحوا بأية مناقشة فيه ، ولا يحتملون أية أسئلة ، ولا يتسامحون فى مخالفة ، لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم ، بل لأنهم كانوا غير واثقين منها ، وكانوا يريدون ممن حولهم موافقتهم على رأيهم لأسباب تتصل بالسياسة . (٢)

*سادسا : ومن الأسباب التى أدت إلى اضطراب الفكر الدينى فى أوروبا عدم كمال دائرة الفروض العقلية التى اخترعوا لمناقشة التدين ونشأة الدين وتطوره ، فضلا عن بطلان مصادرهم في هذا الصدد ، وما بنى على باطل فهو باطل.

*سابعا : عدم تطبيق الحيدة العلمية فى البحث ، وفساد المقاييس التى وضعوها لتفسير الذاتية الدينية ونشأتها ومصادرها ، واتباعهم لمصادر المعرفة الإنسانية القائمة على النتاج العقلى البشرى ، ولا ريب فى أن تنوع المنابع وتعدد المعايير التى استقى منها العقل الأوروبى ثقافته ، واختلافها فيما بينها أدى إلى اضطرابه وتخبطه فى كافة أموره العلمية والعملية ، وكان لهذا التخبط والاضطراب آثاره المدمرة على كيانه وذاتيته ، وهذا ما يدفعنا إلى بيان النقطة التالية.

(١ ، ٢) (معالم تاريخ الإنسانية) المجلد الثالث ص ٩٠٢ - ٩٠٣ . نقلا عن (سيطرة البابوية) ص ٥٧ ، ٥٨.

رابعا: بيان الآثار التى ترتبت على تخبط الفكر الدينى فى العالم الأوروبى:

لا نعلم أن عصرا من العصور قد اتفق فيه أصحاب الرأى - كما يقول الأستاذ عباس العقاد - على وجهة واحدة فى مسائل العقيدة الدينية ، ولكن العصور مع ذلك تتباين وتختلف فى التفكير ، ويحمل كل منها طابعه وسماته فى شئون العقيدة الدينية ، وفى غيرها من الشئون العامة التى تتسع فيها مطارح الآراء ، ومسارح الأهواء ، فإذا حسبنا لهذه المفارقات أو المشابهات حسابها على جملتها جاز أن يقال : أن الحضارة الغربية تحولت منذ القرن السابع عشر من الشك فى الدين إلى الشك فى العقل ، إلى الشك فى العلم الحديث ، وإنها الآن تدخل فى أبواب جديدة من الشكوك ...

وربما كان الأصح أن يقال : إن الحضارة الغربية بدأت بالشك فى السلطة الدينية لا فى الدين نفسه ، وإن الدين الذى شكت فيه أو أنكرته كان هو الدين كما تشبث به الجامدون على التقاليد أو على العرف المقرر فى عهود الجهل والطغيان » [1].

لذلك وجدنا الفكر الأوروبى مضطربا فى تحديد هوية الدين ونشأته والأطوار التى مر بها كما كان للموروثات الدينية القديمة التى تأثر بها الفكر الغربى أثرها الفعال فى تخبط هذا الفكر واضطرابه ، وتولد عن هذا الاضطراب مجموعة من الأفكار والمذاهب الوضعية المتباينة وماهى إلا انعكاس لظروف محلية بحته فى أوروبا ، وهذا أمر منطقى - إذا رجعنا إلى الظروف التى ساعدت على توالد هذه الأفكار وأهمها : عبث الكنيسة بدين الله تعالى المنزل على المسيح عليه السلام وتحريفه وتشويهه ، وتقديمه للناس فى صورة منفرة دون أن يكون لديهم مرجع

١- (عقائد المفكرين فى القرن العشرين) ، ص ٢٥ .

يرجعون إليه لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلى أصوله الصحيحة المنزلة - كما هو الحال مع القرآن المحفوظ بقدر الله ومشيئته من كل عبث أو تحريف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - ثم استبداد رجال الدين الكنسى بأفكارهم وشرح نصوص كتبهم المقدسة - كما يزعمون - وإضفاء الهالة والقداسة على هذه الأفكار ، ثم اضطهاد من تسول له نفسه بالخروج عليها أو الحيدة عنها بشتى ألوان التعذيب ، وأقسى أنواع التنكيل ، ومن ثم نقول : إن الظروف التى أحاطت بالدين فى أوروبا تفسر ولا تبرر ، إنها تفسر شرود الناس فى هذه البيئة عن الدين ولكنها لا تبرره ، فإنه لاشئ على الإطلاق يبرر بُعد الإنسان عن خالقه، ونبذه لعبادته على النحو الذى افترضته على عباده ، سواء بالاعتقاد بوحدانيته، أو بتوجيه الشعائر التعبدية إليه وحده ، أو بتنفيذ شريعته ، فهذا التصرف المنحرف من الإنسان الذى نبذ الدين وابتعد عن الله ، فوزره على نفسه ، وإثمه يقع على عاتقه دون غيره .

ولما كنا بصدد البحث عن الانحرافات والاضطرابات التى وقعت فى الساحة الفكرية الدينية فى أوروبا ، فإن أوروبا قد اعتنقت دينا منعزلا عن حياة الناس ، وعقيدة منفصلة عن شريعته بصرف النظر عما حدث فى هذه العقيدة من تحريف على أيدى الكنيسة ودعاتها ، ولم تحكم الشريعة شيئا فى حياة الناس فى أوروبا إلا الأحوال الشخصية فحسب دون غيرها من الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الأمر الذى جعل أوروبا حين تطلق كلمة « الدين » فإنها تعنى بها: إبعاد الدين عن واقع الحياة ودنيا الناس وحصره فى المعبد والكنيسة ، وكان من أهم الآثار التى نجمت عن هذا ينحصر فى «لا دينية أوروبا » فى كل مجال من مجالاتها العملية وإقصاء بقايا الدين داخل الكنيسة ، وهو ما ينادى بها فى

عصرنا الحاضر بظهور النزعة « العلمانية » فى الساحة الأوروبية ، والميدان الإسلامى [1].

ومن ثم يمكننا إجمال الآثار التى ترتبت على تخبط واضطراب الفكر الدينى فى أوروبا بعدما وضحت الملابسات والمظاهر التى أدت إلى هذا الاضطراب، والبواعث له ، فيمايلى :

أولاً : تحريف الدين وتشويهه .

ثانياً : طغيان الطابع المادى فى نفوس الأوروبيين وبعدهم عن الدين.

ثالثاً : بطلان الحاسة الدينية فى قلوب الغربيين.

رابعاً : زوال العاطفة الدينية من الكيان الأوروبى.

خامساً : عجز رجال الدين الكنسى عن تعديل المادية الجامحة.

سادساً : انتشار كافة الأمراض البدنية والعقلية والنفسية فى أوروبا.

سابعاً : إفشاء ظاهرة اليأس والانتحار فى الوسط الأوروبى.

ثامناً : رزايا الإنسانية من تحريف الفكر الأوروبى واضطرابه.

تاسعاً : دعوة المنصفين من الأوروبيين للدين الحق.

ولى مع كل أثر من هذه الآثار وقفه لتوضيحه فى صورة مجملة فأقول وبالله التوفيق :

– أما فيما يتعلق **بالأثر الأول** الذى ترتب على تخبط الفكر الدينى فى الساحة الأوروبية وهو تحريف الدين الإلهى وتشويه معالمه ، نحتاج أولا أن نتذكر

١– وقد دحض علماؤنا الأجلاء هذه النزعة وفندوا شبهاتها ، وقاوموها وردوا عليها . انظر (الإسلام والعلمانية وجها لوجه) د. يوسف القرضاوى . (سقوط العلمانية) أنور الجندى وغيرهما.
مما يدل دلالة قاطعة على أنه إن صحت فكرة العلمانية فى البيئة الأوروبية كبديل عن الدين ، فإن ساحتنا الإسلامية لا ترضى بغير الإسلام دينا.

أنه فى الوقت الذى لم يكن للدين الإلهى وجود فى البيئة الغربية - سواء فى صورة عقيدة صحيحة أو صورة شريعة حاكمة - فإنه كان هناك نفوذ ضخم جدا يمارس باسم الدين فى مجال العقيدة وفى مجالات الحياة العملية كلها من قبل رجال الدين ، ويتمثل فى حس الأوروبى على أنه هو الدين ، أى أن الصورة الواقعية للدين فى أوروبا كانت تتمثل أولا فى عقيدة مأخوذة من الأناجيل -المنحرفة - وشروحها ، تقول :

إن الله ثالث ثلاثة ، وإن الله هو المسيح ابن مريم ، وتتمثل ثانيا فى صلوات وقداسات ومواعظ واحتفالات تقام فى الكنائس يوم الأحد بصفة خاصة ، وتتمثل أخيرا - وليس آخرا - فى نفوذ رجال الدين على الملوك والأباطرة وعلى عامة الناس ، فأما نفوذهم على الملوك فيتضمن أنهم لا يجلسون على عروشهم إلا بإذن البابا ومباركته ولا يتولون سلطانهم على شعوبهم إلا بتولية البابا لهم ، وإذا غضب البابا عليهم نبذتهم شعوبهم ولم تذعن لأوامرهم ، وأما نفوذهم على عامة الناس فيتضمن أنهم لا يصبحون مسيحيين إلا بتعميد الكاهن لهم ، ولا صلاة لهم إلا بحضور الكاهن فى الكنيسة ، ولا يموتون موتا صحيحا إلا بإقامة قداس الجنازة لهم على يد الكاهن ، ولا يعتقدون إلا ما يلقنهم إياه رجال الدين من شئون العقيدة ، ولا يفكرون إلا فيما يسمح لهم رجال الدين بالتفكير فيه فضلا على نفوذ رجال الدين على أموال وأجساد وأرواح الناس [1] ومدى نفوذ وطغيان الكنيسة على قلوب الناس وأرواحهم .

وقد تمثل هذا الطغيان مظاهر شتى (روحى ، وعقلى ، وفكرى ، ومالى ، وسياسى ، وعلمى) وكانت العامل الأول فى تحريف الدين الإلهى وتشويهه ، فقد امتدت يد رجال الدين الكنسى إلى الدين الإلهى الذى جاء به السيد المسيح

١- (مذاهب فكرية معاصرة) ، محمد قطب ، ص ٤٤٠ . ولمزيد من الاستفادة أنظر التمهيد الأول من هذا الكتاب ص ٩ ، دار الشروق ، ط٣ ، ١٩٨٨م.

فشوهت صورته ، وطمست معالمه ، وغيرت شرائعه ، وبدلت حقائقه ، وحولته من دين إلهى يعتمد فى أصوله وأحكامه على الله إلى دين وضعى أرضى نبت وغذى من أفكار بشرية وثنية [1].

وعقائد الديانة النصرانية الوضعية تعد من أعقد الديانات الفكرية فهى تتصادم مع أبسط قواعد العقل والمنطق والحساب ، وقد عجز رجال الكهنوت عن تفسير غوامضها ، والتعبير عن كنهها وعقائدها وعجزوا عن توضيحها وإقناع الناس بها ، فضلا عن تأثرها بالأديان الوضعية الوثنية فهى نتاج مركب من الأساطير والخرافات والفلسفات الوثنية كما سبق أن وضحنا.

*** الأثر الثانى: طغيان الطابع المادى فى نفوس الأوروبيين وانحرافهم عن الدين الإلهى:**

ولما كان الفكر الأوروبى فى كافة مناحية (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) وخاصة ما يتعلق بالفكر الدينى معتمدا على مخلفات الأمم السابقة عليه كاليونانية والرومانية - وقد أسلفنا بطغيان الجانب المادى فى حياتهما - فإنه على غلب وساد الجانب المادى - بعد عجز الدين الكنسى عن جذب الناس إليه - على الطغيان الكنسى ورجاله ولو أدى ذلك إلى الطرد والحرمان والقتل والتعذيب ممثلا فى (محاكم التفتيش) وانصرفت العقلية الأوروبية إلى المادية بكل معانيها وما تتضمنه من عقيدة ووجهة نظر ونفسية وعقلية وأخلاقية واجتماعية وعلمية وأدبية وسياسية وحكم ، وقام علماؤهم بالنظر فى الكون نظرا مؤسسا على أنه لا خالق ولا مدبر ولا إله ، وأبو الإيمان بما وراء الطبيعة.

١- (الحركة الفكرية ضد الإسلام) د. بركات دويدار ، ص ٢١٠ ، دار التراث العربى ط٢ ، ١٩٨٠م. وانظر لتحريف الدين وتشويهه (قصة الحضارة) مجلد ٣ جـ٣ ص ٢٧٥ . (المسيحية نشأتها وتطورها) شارل جنيبر ترجمة د. عبدالحليم محمود ، المكتبة العصرية بيروت. (إظهار الحق) جـ١ ، ص ٣٣٧ ، دار التراث ، ١٩٧٨م.

يقول أبو الحسن الندوى موضحا افتضاح المادية على العقلية الأوروبية وجحدها للإله : (ولكن رجال النهضة الأوروبية ظلوا قرونا يجمعون بين النظر المادى الجاحد والحياة المادية ، والطقوس الدينية المسيحية ، بالتقليد أو بتأثير المحيط الذى لا يزال فى العالم النصرانى أو بمصالح خلقية واجتماعية كانت تقتضى البقاء ولو بالاسم على نظام دينى يؤلف بين أفراد الأمة - الأوروبية - ويحفظها من الفوضى ، حتى افتضحوا أخيرا وصعب الجمع بينهما بسرعة سير الحضارة المادية ، وتخلف الدين والتقاليد وعجزها عن مسايرتها ، وما الجمع بينهما من متاعب وضياع الوقت وتكلف هم فى غنى عنه ، ومن ثم نهض الكتاب والمعلمون وغيرهم فى كل ناحية من نواحى أوروبا ينفخون فى صور المادية ، وينفثون بأقلامهم سمومها فى عقل الجمهور وقلبه .. حتى طغت وسادت وعمت البقاع فى شتى أنحاء أوروبا ، حتى أصبح دين أوروبا اليوم الذى يملك القلوب والمشاعر ويحكم على الروح هو المادية لا النصرانية ، ويعلم ذلك كل من عرف واتصل عن كثب وكتب بالأوروبيين ولم ينخدع بالمظاهر الدينية التى انخدع بها الجاهلون » (١).

وعبر أحد الصحفيين الأمريكيين عن هذه الحالة المادية الطاغية النفسية الأوروبية فى كتابه فى « داخل أوروبا » بقوله : إن الانجليز إنما يعبدون بنك انجلترا ستة أيام فى الأسبوع ويتوجهون فى اليوم السابع إلى الكنيسة » (٢).

*** الاثر الثالث: بطلان الحاسة الدينية فى قلوب الغربيين:**

لقد كان جنوح العقلية الأوروبية إلى المادية الطاغية وانحرافهم عن الروحانية كان له أكبر الأثر فى فقدانهم للحاسة الدينية ، وعن فقد الحاسة الدينية

١- (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ص ١٩٠ - ١٩٩ . (الإسلام على مفترق الطرق) محمد أسد ، ص ٤٠ .

٢- نقلا من المرجع السابق ص ٢٠٣.

لطارئ مؤثر أو حرمها لنقص فى فطرته بطلت نتائجها الخاصة بها ، وانعدمت فى حقه ، بحيث لا يستطيع أن يتصورها أو يصدقها ، شأن الأعمى لا يبصر الألوان والأجرام المرئية ، وقد يعاند ويكابر فى إنكارها ، وشأن الأصم الذى ليست الدنيا الصاخبة إلا مدينة الأموات عنده ، وليس بها داع أو مجيب.

كذلك الشأن من حرم الحاسة الدينية جحد الغيب ، وكابر فيما هو وراء الطبيعة ، وعاند فى المعالم الدينية ، وقسا على الرقائق والقوارع التى تهز النفوس وترقق القلوب ، فالذين تحجرت قلوبهم وماتت نفوسهم فى مسألة الدين، وآلوا على أنفسهم أنهم لا يفكرون فى أمر الدين والآخرة ولا يلقون السمع للروحانية الآلية ، وأقفلت الحياة المادية ومسائلها جميع أبوابها ، وسدت جميع نوافذ فكرهم ، هم أولئك الذين فقدوا الحاسة الدينية ، وآثروا الدنيا بالآخرة ، ولا نجد أمة من الأمم أترقت فى هذا المجال إلا الحضارة الأوروبية والنهضة الغربية - كما زعموها - وكان هذا ناجم من فقدانهم للدين الإلهى وصوت الفطرة واتباعهم أساطير وخرافات وثنية موروثة . (١)

* الاثر الرابع : زوال العاطفة الدينية من الكيان الاوروبى:

لما ارتفعت قيمة المال فى عيون الرجل الأوروبى وبلغ من الأهمية والمكانة مبلغا لم يبلغه فى دور من أدوار التاريخ المدون ، وأصبح المال هو الروح السادى فى جسم المجتمع الأوروبى ، والحافز للناس على أعمالهم ونشاطهم المدنى ، كما أصبح القطب الذى تدور حوله رحى الحياة العصرية كما يقول الأستاذ « جود » معلم الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن : إن النظرية المهيمنة السائدة على هذا العصر هى النظرية الاقتصادية ، وأصبح البطن أو الجيب ميزانا لكل مسألة فبمقدار اتصالها بالجيب وتأثيرها فيه يقبل الناس عليها ويعنون بها » (٢)، زالت

١- (ماذا خسر العالم ..) ، ص ٢٥٠ - ٢٥٤.

٢- نقلا من (ماذا خسر العالم ...) ص ٢٦٤ بتصرف.

العاطفة الدينية من قلب الرجل الأوروبى ، وأصبح لا يملك لا فى نفسه وقلبه أى عاطفة دينية ، بل عشش فى كيانه حب المادة حتى عشقها وأصبحت هى دينه ومعتقده .

وخير ما يعضد هذه النظرة ما صوره العالم النصرانى «ليكى» الحالة المتردية التى أصبح عليها الرجل الأوروبى - وخاصة رجل الدين الكنسى - وتأرجحه بين الرهبانية العاتية وحياة المادية الجامحة . إنه يقول : « إن المدن التى ظهر فيها أكثر الزهاد كانت أسبق المدن فى الخلاعة والفجور ، وقد اجتمع في هذا العصر الفجور والوهم اللذان هما عدوان لشرف الإنسان وكرامته » [1] ، وشقيت أوروبا بالفساد والفجور الذى انتاب ساحتها فضلا عن طغيان رجال الدين الكنسى على الحياة الأوروبية بأسرها أضعف هذا كله من ربقة الدين الذى تدعوا إليه الكنيسة وجنح إلى المادية.

* الأثر الخامس: عجز رجال الدين الكنسى عن تعديل المادية الجامحة:

لا يتوهم أحد أن حياة الرهبنة التى ابتدعها رجال الكهنوت فى دينهم - كما يقول أبو الحسن الندوى [2] - قد عدلت من شره المادية الرومية ، وكبحت من جماحها وغلوائها ، والذى يُوجد الاعتدال ويخفض من المادية الجامحة ويجعل منها حياة معتدلة هو النظام الروحى الدينى الذى يوافق الفطرة الإنسانية ، أما النصرانية الوثنية الوضعية قد حاولت تغيير نفسية الأوروبى ، فباءت بالفشل والخيبة لأنها جاءت بنظام لا تستسيغه الفطر السليمة ، وحملت النفوس ما لا طاقة لها به فرغبت به كرد فعل ضد المادية الطاغية واحتملته كارهة ثم تخلصت منه وثارت عليه ولم تقدر النصرانية الرومية بإسرافها فى الرهبنة والزهد ،

١- المرجع السابق ، ص ١٩٠.

٢- المرجع السابق ، ص ١٨٨ - ١٩٠ بتصرف.

ومكابرتها للفطرة والواقع أن تصلح ما فسد من أخلاق الناس وعوائدهم ، وتمنع تردى وسقوط مدنيتها وحضارتها المزعومة ، مما أفقد الدين الكنسى هيمنته وقداسته فى نظر الرجل الأوروبى وغلب عليه الطابع المادى الجامح.

* **الاثر السادس : انتشار كافة العلل ، البدنية والعقلية والنفسية ، فى البيئة الاوروبية :**

إن فقدان الحاسة الدينية يعرض الإنسان لشتى العلل والأمراض البدنية والعقلية والنفسية ، ومن ثم كانت البيئة الأوروبية ، والساحة الغربية مرتعا خصبا لهذه الأمراض مجتمعة ، وليس أدل على ذلك من أقوال علمائهم ومفكريهم بمختلف تخصصاتهم ، والإيمان علاج للقلق والاكتئاب والضجر واليأس وسائر النوازل والابتلاءات التى تعترى الكيان الإنسانى ، فها هو « ديل كارنيجى» يصرح : إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوى ، والاستمساك بالدين والصلاة كفيلة بأن تقهر المخاوف والقلق والتوتر العصبى وأن تشفى أكثر من نصف الأمراض التى تشكوها.

ويقول ا.ا. بريل : إن المرء المتدين حقا لا يعانى مرضا نفسيا قط ، وإن علماء النفس وأطباء ليسوا إلا وعاظا من نوع جديد فهم لا يحضوننا على الاستمساك بالدين توقيا لعذاب الجحيم فى الدار الآخرة - فحسب - وإنما توقيا للجحيم المنصوب فى هذه الحياة الدنيا ، جحيم قرحات المعدة والانهيار العصبى والجنون ... الخ.

ويقول - الدكتور كارل يونج - أعظم أطباء النفس بأمريكا فى كتابه (الرجل العصرى يبحث عن روح) : وهاهو هنرى لنك الذى عاد إلى الإيمان عن طريق التجربة والعلم ، هذا الرجل - ككثيرين غيره - حين كفر وألحد ، لم يكفر بدين الله الحق ، وإنما كفر بالتحريفات التى أضيفت إليه ، وما ابتدع فيه ، وحين آمن وعاد إلى الدين لم يعد إلى الدين الذى أنكره من قبل بل عاد إلى دين

الفطرة ، ولو أتيح للرجل - ولغيره من سائر العلماء الأوربيين - أن يعرف الإسلام على بصيرة لأيقن أن الدين الذى اهتدى إليه وأعلن عودته لحظيرته إنما هو دين الإسلام (دين الفطرة والعقل والحياة والقوة) ومن أقواله :

- (إن كل من يعتنق دينا أو يتردد على دار العبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل مما لا دين له أو لا يزاول أية عبادة).

- (الدين هو الإيمان بوجود قوة ما كمصدر للحياة ، هذه القوة هى قوة الله ، وهو الاقتناع بالدستور الإلهى الذى سنه الله فى كتبه المتعاقبة ، واعتبار التعاليم السماوية أثمن كنز تغترف منه الحقائق الدينية وهى أسمى فى مرماها من العلوم كلها مجتمعه) [1].

ويقول « بريل كارنيجى » : إن الحياة متاهة مضلة وصحراء قاحلة مهلكة بغير واحة الإيمان .

« إننى يهمنى ما يسديه إلى الدين من النعم تماما كما تهمنى النعم التى تسديها إليها الكهرباء والغذاء الجيد ، والماء النقى ، فهذه تعيننا على أن نحيا حياة ، لكن الدين يسدى إلى أكثر من هذا ، إنه يمدنى بالمتعة الروحية ، أو هو يمدنى - على حد قول « وليم جيمس » - بدافع قوى لمواصلة الحياة الحافلة الرحبة السعيدة الراضية ، إنى يمدنى بالإيمان والأمل والشجاعة ويقضى عنا المخاوف والاكتئاب والقلق ، ويزودنى بأهداف وغايات فى الحياة ، ويفسح أمامى آفاق الحياة السعيدة ، ويعيننى على خلق واحة خصبة وسط صحراء حياتنا.

ومن أقوال الفيلسوف « فرانسيس بيكون » : إن قليلا من الفلسفة يجنح بالعقل إلى الإلحاد ، ولكن التعمق فى الفلسفة خليق أن يعود بالمرء إلى الدين .

١- نقول من كتاب (العودة إلى الإيمان) ص ٢٣ - ٢٦ بتصرف يسير.

ومن أقوال « وليم جيمس » :

« إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم ، فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه تحققت كل أمنياتنا وآمالنا ».

« الإيمان من القوى التى لابد من توافرها ، لمعاونة المرء على العيش ، وفقدها نذير بالعجز من معاناة الحياة ».

« إن أعظم علاج للقلق ولاشك هو الإيمان » [1].

* الأثر السابع : ذيوع الضجر واليأس والانتحار فى الوسط الأوروبى :

لما ضعف الوازع الدينى ، وفقدت العقلية الأوروبية حاستها الدينية نتيجة عجز الدين الكنسى الوثنى المشبوه من استمالة النفوس ، وجذب القلوب ، ولما فقد الغربى الرغبة فى الخير والإصلاح ، ولما ضيع الغربيون أصول معتقدهم ومبادئ دينهم ، وزاغت قلوبهم وانحرفت ، واعتلت أذواقهم ، لم تزدهم العلوم والمخترعات - والتقدم التكنولوجى - إلا ضررا وقوة وسرعة فى الإهلاك واستعانة على الانتحار .

وقد صور هذه الحالة المتردية الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى كتابه (تنقيحات) قائلا : « والحاصل أن البذرة الخبيثة التى ألقيت فى تربة أوروبا فى نهضتها لم تأت عليها قرون حتى نبتت منها دوحة خبيثة ، ثمارها حلوة ولكنها سامة ، أزهارها جميلة ولكنها شائكة ، وفروعها مخضرة ولكنها تنفث غازاً ساماً لا يرى ولكنه يسمم دم البشر.

إن أهل الغرب الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة قد مقتوها ، وأصبحوا يتذمرون منها لأنها خلقت فى كل ناحية من نواحى حياتهم مشاكل وعقدا لا

١- نقول من (الإيمان والحياة) د. يوسف القرضاوى ، ص ٣٤٣ - ٣٤٥.

يسعون لحلها إلا وظهرت مشاكل جديدة ، ولا يفصلون فرعا من فروعها إلا وتطلع فروع كثيرة ذات شوك ، فهم فى معالجة أدوائهم وإصلاح شئونهم كمعالج الداء بالداء ، وناقش الشوكة بالشوكة ، إنهم حاربوا الرأسمالية فنجمت الشيوعية ، وحاولوا استئصال الديمقراطية فنبعت الدكتاتورية ، أرادوا أن يشترعوا قوانين لاستئصال المفاسد الخلقية فاشرأبت حركة العصيان والجناية فلا ينتهى شر إلا إلى شر أكبر منه ، ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم مصائب وشرورا حتى صارت الحياة الأوروبية جسدا مقروحا ، يشكو كل جزء منه أوجاعا وآلاما ، وأعيا الداء الأطباء ، واتسع الخرق على الراقع ، الأمم الغربية تتململ ألما ، قلوبها مضطربة ، وأرواحها متعطشة إلى ماء الحياة ولكنها لا تعلم أين معين الحياة ، إن الأكثرية من رجالها لا تزال تتوهم أن منبع المصائب فى فروع هذه الشجرة فهم يفصلونها ويستأصلونها من الشجرة ويضيعون أوقاتهم فى قطعها ، أنهم لا يعلمون أن منبع الفساد فى أصل الشجرة ، ومن السفاهة أن يترقب الإنسان أن ينبت فرع صالح من أصل فاسد وفيهم جماعة من العقلاء أدركوا أن أصل حضارتهم فاسد ولكنهم لما نشأوا قرونا فى ظل هذه الشجرة - وبأثمارها نبت لحمهم ونشز عظمهم - كانت أذهانهم من أن يعتقدوا أصلا آخر غير هذا الأصل يستطيع أن يخرج فروعا وأوراقا صالحة سليمة ، وكلا الفريقين فى النتيجة سواء ، إنهم يتطلبون شيئا يعالج سقمهم ويريحهم من كربهم ولكنهم لا يعلمونه ولا مكانه » [1].

١- (تنقيحات) فصل أمم العصر المريضة ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، كلاهم يعلمونه و « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين» سورة البقرة الآية (١٤٦ ، ١٤٧).

* الأثر الثامن: رزايا الإنسانية فى تحريف الفكر الأوروبى واضطرابه:

لقد خسرت الإنسانية جمعاء بانحطاط المسلمين واستيلاء الفكر الأوروبى عليها بالتبعية والسيطرة والنفوذ رزايا أوقعت الإنسانية فى الهاوية وتلك رزية لا تقبل العزاء ، وكسر لا ينجبر ، ورغم تخبط الفكر الأوروبى فى شتى مناحى الحياة ، ورغم انكشاف هويته ، وجلاء اضطرابه ، إلا أن الإنسانية - إلا من عصمه الله تعالى - قد انخدعت ببريق الحضارة الغربية ، وسرت فى هذا السراب الخادع والمخادع ، وهوت فى الحضيض بسبب هذا التقليد الأعمى الذى انقادت إليه ، وكان من نتاج هذا كله أن فقدت الإنسانية حاستها الدينية ، كما زالت عاطفتها الدينية ، وطغت المادية الجامحة على نفوسهم وقلوبهم ، وتدهورت القيم الأخلاقية فى ظل هذه التبعية الشيطانية ، وأصبحت ساحتها مرتعا خصبا لتفشى العلل والأمراض البدنية والعقلية والنفسية ، وتحول الإنسان - التابع للفكر الوضعى - إلى مادية جامحة ، ونتاج آلى جارف فى صباحه ، وحيوان هائج فى ليله يبحث عن المتاع الحسى الغليظ ، وتلك نهاية طبيعية لكل من حاد عن الفطرة ، وانحرف وبعد عن الدين الإلهى.

ولما كان الإنسان متدين بطبيعته وفطرته ، فهو - أيضا - عابد بسجيته ، ولا يمكنك أن تحوله من الدين إلى اللادين ، ومن العبادة إلى اللاعبادة ، إلا إذا كان هذا التدين ، وتلك العبادة قائمة على أسس واهية ، ودعائم باطلة من نتاج الفكر الوضعى الموسوم بالقصور ، ومن ثم تعددت سبل الذين حادوا عن فطرة الله تعالى وتنوعت وتشعبت طرقهم فضلوا وأضلوا.

* الأثر التاسع: دعوة المنصفين من الأوروبيين للدين الإلهى الحق[1]:

أفلت شمس الحضارة الغربية ، وغاب صوت الفطرة عن بيئتهم ، حتى وجدتهم صرعى العلل والأمراض بسبب فزع الميدان الأوروبى كله من الدين - رغم سيطرة ونفوذ أوروبا على العالم بأسره بقوتها الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والعسكرية والسياسية - ولو كان الدين سبيل النجاة بالنسبة لهم ، فانسلخوا من دينهم ، عسى أن يجدوا البديل عنه ، فأوقعهم سعيهم فى الهلاك والوبار ، والفساد والخسران مما دفع منصفيهم برفع صيحاتهم فى أجواء أوروبا بأسرها ، معلنين بالنذير الفطرى المكنون فى نفوسهم - وإن لم يصرحوا بإيمانهم وبه علانية- وبسوء مصير البشرية فى ظل الحضارة المادية الخاوية من الإيمان خواءها من الروح الإنسانى.

منهم الفليسوف الإنجليزى المعاصر (برتر اندرسل) قال فى تصريح له :

« لقد انتهى العصر الذى يسود فيه الرجل الأبيض ... وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونا من قوانين الطبيعة - بدلا من السنن الإلهية - واعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياما رضية كتلك التى لقيها خلال أربعة قرون »[2].

وقال جويد فوستر دالاس - وزير خارجية أمريكا سابقا فى كتاب (حرب أم سلام) :

« إن هناك شيئا ما يسير بشكل خاطئ فى أمتنا ، والإلمام أصبحنا فى هذا الحرج وفى هذه الحالة النفسية ، ولا يجدر بنا أن نأخذ موقفا دفاعيا ، وأن

١- أنظر (الدعوة الإسلامية فى نظر المنصفين من مفكرى الغرب) مقال للباحث بحولية الكلية ١٩٩٥م.

٢- (المستقبل لهذا الدين) ص ٤٧ ، ٤٨ بتصرف يسير.

يتملكنا الذعر إن ذلك أمر جديد فى تاريخنا ، أن الأمر لا يتعلق بالماديات فلدينا انتاج علمى فى الأشياء المادية ، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوى ، فبدونه يكون مالدينا قليلا ، وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم ، أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أو القنابل مهما بلغت قوتها ، فمتى شعر الناس بالحاجة إلى الاعتماد على الأشياء المادية فإن النتائج السيئة تصبح أمرا حتميا .

وفى بلادنا الأوروبية لا تجتذب نظمنا الإخلاص الروحى اللازم للدفاع عنها، وهناك حيرة فى عقول الناس ، وتآكل لأرواحهم ، وذلك يجعل أمتنا معرضة للتغلغل المعادى ، ولن تستطيع أى إدارة لمكافحة التجسس أن تقوم بحمايتنا فى هذه الظروف ... ويبدو أن كثيرا من البلاد بما فى ذلك الدول المسيحية الغربية تعطى الأولوية لتنمية الحياة المادية للمجتمع ، وتجعل من الروحية أمر ثانويا يتعلق بالأفراد أنفسهم .. إن الصعوبة ناشئة من أننا نقف موقفا غامضا من إيماننا ، ومن العلاقة التى بين هذا الإيمان ونشاطنا .. وتقدمنا المادى ومبالغتنا فيه قد أفلسنا من الناحية الروحية ... ونتيجة لسوء حالتنا الإجتماعية -وغيرها- فإن قومنا قد فقدوا إيمانهم فى مجتمع حر ، وكأمة فقدنا كذلك إيماننا الدينى وممارسة شعائرنا الدينية ، إننا نفرق بين الدين وممارسة الدين ، ولم نعد نؤمن بأن الإيمان يتمشى مع الظروف الحديثة ، ومتى تحطمت الصلة بين الإيمان والعمل فلن نستطيع بعد ذلك أن ننمى قوة روحية نستطيع نشرها فى جميع أنحاء العالم »[1].

وكتب الرئيس ولسون قبل وفاته بأسابيع قليلة مقالا استعرض فيه تهديد المبادئ الثورية وأعمال الشيوعية وختمه بقوله : إن اختصار المسألة بأسرها هو

١- نقلا من (المستقبل لهذا الدين) ص ٦٧ - ٧٣ بتصرف.

مايلى : إن حضارتنا لا تستطيع الاستمرار فى البقاء من الناحية المادية إلا إذا استردت روحانيتها » (١).

هذه بعض النماذج التى تعالت بصيحاتها تنذر بخطر المادية الجارف فى ساحة الميدان الأوروبى معلنة أن تعود إلى المخلص الذى يخلصها مما انتابها من تخبط فكرى فى كافة مناحيها العلمية والعملية ، وعلى من ينسجون منوال الحضارة الغربية ، ووقعوا فريسة لزخرفها ، ألا ينخدعوا بهذه البريق الخادع ، والمظهر الكاذب ، ويولوا وجههم شطر دين الفطرة التى فطر الله تعالى الناس جميعا عليها ، ويعلنوها صيحة صريحة مدوية « **قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين. قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ . .** » (٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور

مرسى شعبان السويدى

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية

١- المرجع السابق ص ٧٣.

٢- سورة الأنعام الآيات من (١٦١ - ١٦٣).

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أخطاء المنهج الغربى الوافد ، أنور الجندى ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٤م.
٣- أصول التاريخ الأوروبى الحديث ، هـ. فشر ، ترجمة زينب عصمت راشد وآخر، دار المعارف ، ١٩٦٥م.
٤- اظهار الحق ، الشيخ رحمت الله الهندى تحقيق د. أحمد السقا ، دار التراث العربى ، ١٩٧٨م.
٥- آلهة فى الأسواق ، د. رؤوف شلبى ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ١٩٨٤م.
٦- أوروبا العصور الوسطى ، د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، جزآن مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥م.
٧- البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبى فى العصور الوسطى ، د. أحمد على عجيبة ، مقال بحولية أصول الدين طنطا ، ١٩٩١م.
٨- الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها ، د. بركات عبدالفتاح دويدار ، دار التراث العربى ، ١٩٨٠م.
٩- الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية ، د. محمود جب الله ، ١٩٨٠.
١٠- الدين ، د. عبدالله دراز ، دار القلم ، ١٩٨٠م.
١١- الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها ، د. أحمد على عجيبة ، مقال بحولية أصول الدين طنطا ، ١٩٩٠م.
١٢- العقل والدين ، وليم جيمس ترجمة د. محمود جب الله ، ١٩٤٨م.
١٣- العودة إلى الإيمان ، هنرى لنك ، دار المعارف ، ١٩٤٨م.
١٤- المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية ، د. محمد رجب الشتيوى ، مطبعة التقدم ، ١٩٨٨م.

١٥- المسيحية فى العصور الوسطى ، د. جاد المنفلوطى ، جـ٢ ، دار التأليف والنشر ، ١٩٧٧م.
١٦- المسيحية نشأتها وتطورها ، شارل جنيبير ترجمة د. عبدالحليم محمود ، المكتبة العصرية .
١٧- المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ، دار الشروق ، ١٩٨٩م.
١٨- الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، د. اسحق عبيد ، دار المعارف، ١٩٧٢م.
١٩- الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوتى ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٧م.
٢٠- بين الديانات والحضارات ، طه المدور ، ١٩٥٦م.
٢١- تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، د. أحمد على عجيبة ، رسالة العالمية مخطوط بكلية أصول الدين طنطا.
٢٢- تاريخ الأقباط ، د. زكى شنوده ، لجنة التاريخ والنشر ، ١٩٦٢.
٢٣- تاريخ الكنيسة ، چون لوريمر ، دار الثقافة .
٢٤- تاريخ الكنيسة ، يوسا بيوس القيصرى ، مكتبة المحبة ، ١٩٧٩م.
٢٥- تاريخ أوروبا العصور الوسطى هـ.ا.ل. فشر ترجمة محمد مصطفى زيادة ، آخرون ، دار المعارف ، ١٩٧٦م.
٢٦- تكوين أوروبا ، كرستوفر دوس ترجمة محمد مصطفى زيادة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٧م.
٢٧- دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ، دار المعرفة ، ١٩٧١م.
٢٨- دراسات فى الأديان الوثنية القديمة ، د. أحمد على عجيبة ، دار المنار ، ١٩٩١م.
٢٩- دراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، د. چوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣م.
٣٠- رؤية فى سقوط الامبراطورية الرومانية ، د. محمود محمد الحويرى ، دار المعارف ، ١٩٨١م.

٣١- صلة العلم بالمجتمع ، ح.ح. كراودز ترجمة حسن خطاب ، النهضة العربية سلسلة الألف كتاب.
٣٢- فى العقائد والأديان، د. محمد جابر عبدالعال ، ١٩٧١م.
٣٣- فى الدين المقارن ، د. محمد كمال جعفر ، ١٩٧٠م.
٣٤- قصة الحضارة ، و.ل. ديورانت ، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٣٥- قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، د. توفيق رزق الطويل ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧م.
٣٦- قصة الاضطهاد الدينى ، د. توفيق رزق الطويل ، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م.
٣٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، دار القلم ، ١٩٧٧م.
٣٨- محاضرات فى النصرانية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٦م.
٣٩- محاكم التفتيش نشأتها وتطورها ، د. اسحق عبيد ، دار المعارف ، ١٩٧٨م.
٤٠- مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، دار الشروق ، ١٩٨٨م.
٤١- معالم تاريخ الانسانية ، ولز ترجمة عبدالعزيز توفيق ، لجنة التأليف والنشر، ١٩٧٢م.
٤٢- من معطيات الثقافة الإسلامية ودورها فى نهضة أوربا وحضارتها ، د. مرسى شعبان السويدى ، مقال بحولية ، ١٩٩٤م.
٤٣- منبعا الأخلاق والدين ، هنرى برجسون ، ترجمة سامى الدرونى وآخرون ، ١٩٧١م.
٤٤- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، د. رؤوف شلبى ، مكتبة الأزهر ، ١٩٧٤م.
٤٥- ومراجع أخرى ذكرت فى هامش البحث.